

السياسة هي طريقة ابتدعها البشر لإدارة العلاقات بينهم في مجتمعات تطوى داخلها مصالح متضاربة. كان «خط التقسيم» الأهم في كافة المجتمعات، تقريباً هو ذاك الذي يميز بين من يملكون ومن لا يملكون. بين أصحاب الأرض وال فلاحين. مقالات متعلقة زهنية الخطر الوجودي هوامش تاريخية على المسألة الروسية في أثينا، تمثلت في الديون. إذا كنتَ من فقراء أثينا، وفسد محصولك لعامٍ أو اثنين، في النظم الاقتصادية الحالية أيضاً ما يُعرف بقوانين الإفلاس. هكذا سقطتُ الكثير من الأسر في «عبودية الدين». عند نقطة معينة، عُهد بهذه المهمة إلى «صولون»، الحكيم الأثيني المعروف. فتفق ذهنه عن تسوية معينة. ألغى عبودية الدين، لكنه لم يُعد توزيع أراضي الأغنياء على الفقراء، أى أنه حافظ على الملكية. ولم يُرضِّ الفقراء على نحو كامل. كان ذلك دليلاً في نظر «صولون» - على أنه حلٌّ جيدٌ. لماذا؟ لأنَّه ينطوي على تسوية. المعضلات الاقتصادية في العُمق هي قضايا سياسية، ذلك أنها تتعلق في الأساس بتوزيع الموارد في المجتمع: من يحصل على ماذا؟. علاج «صولون» للأزمة الاقتصادية المستحكة بين الفقراء والأغنياء كان سياسياً أيضاً، أعطى «صولون» الفقراء الفرصة - ولأول مرة - للمشاركة في المجلس العام للمدينة. وصار بإمكانهم محاكمة الأغنياء في قضايا فساد. لم يُعالج «صولون» قضية الفقر في ذاتها. هم ظلوا على حالهم فقراء. ما تغير هو شعورهم بامتلاك نوعٍ من «القوة والسلطة» في المجتمع الذي يعيشون فيه. السياسة، إذن، أو الوصول إلى نقطة الانفجار. أو هي قنوات تحول مسار فيضان هادر ومدمر إلى مصارف وترعٍ عِدة، اليونان القديمة اخترعت السياسة منذ نحو 2500 عام. الطريقة التي مارست بها المدن اليونانية السياسة ظلت شيئاً نادراً، ينسى الكثيرون الطرف التاريخي الاستثنائي الذي هيأ لليونان الانخراط في هذا النشاط العجيب، والذي لا نجد له مثيلاً في الحضارات الأخرى. توفر العبيد والثروات منح الناس وقت الفراغ لممارسة أنشطة أخرى مثل الذهاب إلى المسرح لمشاهدة الدراما (وهو اختراع آخر ابتدعه اليونان في ذات التوقيت تقريباً)، وأيضاً المشاركة في الجدل العام عبر ممارسة السياسة. كانت القراءة والكتابة منتشرة بصورة تفوق أي مجتمع آخر في هذا الزمن البعيد. إلى يومنا هذا ما زال ازدهار السياسة مقرضاً ومرهوناً بتوفر هذه الشروط الأولية: حد أدنى من الازدهار، عندما تنزل السياسة من القصور إلى الجمهور، تصير المجتمعات أيضاً عُرضة لحالات الصراع والانسداد. يصل الانسداد السياسي، وإنما هي تمزق نسيجه ذاته وتقضى على مستقبله، ربما إلى غير رجعة. كانت أغلب الحضارات والمجتمعات تتنهار من داخلها، وهي أيضاً مجال مفتوح لرفع منسوب المنافسة في المجتمع، ومن ثم الاستقطاب. هذا نعرفه من تاريخ اليونان ذاتها. أى أنها كانت لمحنة عابرة في التاريخ الإنساني المديد. والتهديدات الخارجية. العراق ولبنان، نموذجان صارحان. لا يستطيع تكوين حكومة. في الحالتين، الاستقطاب متفشٍ. قد يُجادل البعض بأن السياسة، على كل مثالبها الظاهرة في تجربة كل من العراق ولبنان، تظل بدليلاً أفضل وأقل كلفةً من الصراع الأهلي، وقد جربه البلدان كذلك. إنها حجة صحيحة. تظل أخف وطأةً من الحرب الأهليّة. على أن هناك نوعاً من الممارسة السياسية، لأسباب لا تختلف كثيراً، ما زالت بعض المجتمعات في عصرنا هذا تخشى الديمقراطية باعتبارها أدلة تزيد الصراع في المجتمع بدلًا من تهدئته وتسويتها. مع ذلك، حتى ولو لم يكن كاملاً،